سكانها المسلمين واليهود»، وأنه «لم يثر التعصب الإسلامي، من جديد، إلا التعصب المسيحي الذي دلّ عليه ما لجأ إليه الصليبيون من سفك الدماء»[63].

ويصف الأسقف وليم الصوري هذه المذبحة وصفاً تقشعر له الأبدان، إذ يقول: «بات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فصلت الرؤوس عنها، والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات، هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم... ويروى أنه هلك داخل حرم الهيكل (الحرم الشريف)، فقط، قرابة عشرة آلاف من الكفرة، بالإضافة إلى القتلى المطروحين في كل مكان من المدينة، في الشوارع والساحات، حيث قدّر عددهم أنه كان مساوياً لعدد القتلى داخل حرم الهيكل. وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثاً عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكنهم أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام، وتشكل البعض في زمر واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وقتلت هذه الضحايا أو قذفت من مكان مرتفع حيث هلكت بشكل مأساوي»[64]. ويحاول «غروسيه» أن يبرر هذه المذبحة بقوله «يبرهن النص أن انتصار المسجد الأقصى لم يكن إلا ثمناً لمعركة جديدة، وهو ما يفسر عدد القتلى»، ويستشهد، على ذلك، بكلام «المؤرخ مجهول» يستشهد به مراراً، إذ يقول: «عندما دخل حجاجنا المدينة، طاردوا (الإسماعيليين) حتى هيكل سليمان (الحرم الشريف) حيث كانوا قد اجتمعوا وخاضوا ضدنا طيلة النهار، معركة شرسة، وذبحوهم، حتى أن الدم جرى في الهيكل»[65]. كما أنه، أي غروسيه، يرى، وهو محق في ذلك، أن الرقم الذي ذكره ابن الأثير لعدد الذين قضوا في الحرم الشريف مبالغ فيه إلى حد كبير، وإن

(63) رنسيمان، م. ن. ص. ن.

(64) الصوري، المصدر السابق، ج 1: 436 ـ 437.

(65) Grousset, Op. Cit., p. 158. والاسماعيليون: أبناء اسماعيل، أي المسلمون.